

إلى الدكتور طه حسين للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تفضلت فأهديت إليّ نسخة من كتابك الجديد (مستقبل الثقافة في مصر) وكان من واجبي أن أشكر لك هذه الهدية بخطاب أسجل فيه هذا التلطف . ولعلني لو حاولت ذلك لاهتديت إلى أن من الخير أن أنتهز الفرصة وأشرب معك كأساً من الشاي في بيتك لتجدد العهد ؛ ولكني آثرت أن أشكر لك هذه الهدية بأسلوب آخر هو الهجوم عليك

وما كان ذلك حباً في المشافهة كما يتوهم بعض من لا يفقهون ، وإنما كان ذلك لأنني أشعر أننا أسرفنا في حب السلام ، والسلام ضرب من الموت ، وأعتقد أننا في هذه الأيام نختلف أقل مما يجب وباولنا إذا لم نختلف !

ويسرني أن أعرف فيما بيني وبين نفسي أني لم أقصر في محاربتك ، ولم يفتني أن أؤذّر رجال التعليم بمخاطرك ، وقد قلت لهم بصوت يسمع أهل القبور : « إن هذا الرجل سينتزع من أيديكم كل شيء » فاستمع مستمع ولا استجاب بحجب

وكم قلت للنافلين : إن طه حسين ليس أعلم العلماء ، ولا أحكم الحكماء ، وإنما هو رجل « متحرك » كما يعبر أهل بغداد ، فتحرّكوا يا جامدين لتسدوا عليه الطريق

كم قلت : إن من الغفلة أن يسكت رجال التعليم إلى أن يسمعوا صوت الناقوس من طه حسين ! وما قلته لرجال التعليم قلت بعضه لنفسى ، ففي كتابك الجديد آراء أذعنتم من قبلك في الجرائد والمجلات ، ولكنني لم أحتفل بها كما احتفلت فأذيعها في كتاب خاص ، ولو أني فعلت لأضمت عليك فضل السبق . ولكن ما فات فات ما كان يسرني أن تنتصر ، وإن كنت أقسمت بعين الوفاء

لكلية الآداب ؛ ولكن ماذا أصنع وأنا مضطر لكلمة الحق في إنصافك بحكم الضمير والواجب ؟ ماذا أصنع وأنا أرى أنصاري في غماصتكم لا يعلكون غير مضغ الأحاديث ؟ ماذا أصنع وأنا لا أرى بين رجال التعليم من يبدى رأياً صحيحاً أو سخيفاً في مستقبل الحياة الأدبية والعلمية ؟

كنت أتمنى أن يشغل بمستقبل الثقافة في مصر عشرات من الباحثين منهم شيخ كلية اللغة العربية وعميد دار العلوم ورئيس المجمع اللغوي ومدير دار الكتب المصرية ؛ ولكنك تفردت بذلك الإحساس الدقيق الذي يظهر في اختيار الظرف المناسب لما تذيع من مذاهب وآراء ؛ فإن بدا لبعض الناس أن يحسدك على هذا السبق فليسأل نفسه ماذا صنع بالإجازات الصيفية ، كما صنعت أنت بالإجازات الصيفية

أتريد الحق يا دكتور ؟

أنت رجل مقتحم ، ومن حق المقتحم أن ينتصر كما انتصرت

ولكن ماذا في كتابك الجديد ؟

هو في مجلته وتفصيله شاهد على أنك تقدر المسؤولية الملقاة على عاتق عميد كلية الآداب . وأنت في كتابك هذا قد فصلت ما يعترض مصر من المعضلات التعليمية أجل تفصيل . وليس لكتابك الجديد بريق الكتب الأدبية ، ولكن له جلال الكتب التعليمية ، فتقبلني مني ومن جميع المتصفين أصدق آيات الثناء

ثم ماذا ؟ — في كتابك الجديد كثير من البديهيات ، فهل ترى من الحق أن نحاسبك على التطويل في شرح البديهيات ؟

من الذي حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يدهم على أنهم في تصورهم وعقليتهم يقتربون من إيطاليا وفرنسا أكثر مما يقتربون من الصين واليابان ؟ من الذي حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يذكرهم بأنهم قوم لهم عقول تدرك ما يدرك الأوروبيون في ميادين العلوم والآداب والفنون ؟

في كتابك بديهيات كثيرة من هذا النوع ، فاستغن عنها إن شئت في الطبعة التالية لئلا تسجل على وطنك جهل البديهيات ثم ماذا ؟ — قلت إن عقلية مصر عقلية يونانية ، وصرحت بأن الإسلام لم يغير تلك العقلية . فسمح لي أن أشكوك إلى عميد كلية الآداب ، فعميد كلية الآداب وهو أستاذي وأستاذك ، واسمه طه حسين إن لم تخنى الذّاكرة ، يعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرناً وهي مؤمنة بالعقيدة الإسلامية ، والأمة التي تقضى ثلاثة عشر قرناً في ظل دين واحد لا تستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين

عميد كلية الآداب الذي أعرفه أنا ، وإن تجاهلته أنت ،

يعترف بأن الاسلام رجّ الشّرق
رجّة أقوى وأعنف من الرّجّة
التي أثارها الفلسفة اليونانية .

عميد كلية الآداب يثّق
بأن في مصر شمائل من العقلية
اليونانية التي تلقت الدروس عن
مصر الفرعونية . ولكنه مع
ذلك يؤمن بأن لمصر عقلية
إسلامية، وهذه العقلية الإسلامية
لها خصائص يدرّسها أصغر مدرس
في كلية الآداب . وأرجو ألا يضيّق
صدرك بهذه الحقيقة فقد تلقى
بعد أيام أو أسابيع وأشرح لك
مالا يحتاج إلى شرح ، كما تشغل
نفسك بشرح مالا يحتاج إلى شرح
من المؤكد عندي أنك لم
تستشر عميد كلية الآداب قبل
أن تصرّح بأن الإسلام لم يغيّر
العقلية المصرية ، وذلك في هذا
التهاون عظيم لأنك قريب منه ،
واتصالك به لا يجشمك أي عناء .

عميد كلية الآداب يعرف ،
كما أعرف أنا ونعرف أنت ،
أن الديانات تفتقر ثم تجتمع ،
وهي في روحها تحدث الناس
بأعلوب واحدف أوقات الضعف ،
ولكن هذا لا يمنع من أن
هناك خصائص للعقلية الإسلامية
والعقلية المسيحية ، وهذه
الخصائص تخفى على العوام
ويدركها الخواص .

وكيف لا توجد هذه

من رجب شمس الدين

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال في إظهار
مواهبك الأدبية ؟ » هذا السؤال ألقته مجلة أدبية فرنسية
على الروائي دورجليس فأجاب : « إن الرجل الذي يهجم
على الأدب وهو منود بتكوينه المدرسي وحده لا يمكن
أن يكون غير كاتب ضعيف » . وقال الشاعر بول فاليري
في مثل هذا المقام : « إن أسألتني في المدرسة كانت لهم
عن الأدب فكرة تدعو إلى الرثاء . بخيل إلى أن الفناء
وفقر الذهن وبلاغة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال
مواد مقررة رسمياً في المناهج الدراسية ! »

لو سئلت أنا أيضاً لما خرجت إجابتي عن هذا المعنى .
فلقد فعلت المدرسة كل شيء لتتفرني من الأدب وتخيفني
من اللغة فوضعت بين يدي أسمع الكتب العربية معنى وفكراً
وأعسرها لغة وأسلوباً وأبعدها عن مخاطبة النفس المتفتحة
لجمال الخليفة . لقد علمتني المدرسة كراهية الشعر العربي .
وقد لبثت زمناً لا أطيق الإصفاء إلى بيت واحد من ذلك
الشعر السخيف الذي أرغمنا على حفظه إرغاماً . شعر ليس
فيه قطرة من ماء الشاعرية . إنما هو ضرب من تلك الحكم
والمواعظ المنظومة التي لا كتبها الألسن ومضغتها الأفواه
حتى أصبحت « تفلاً » جافاً لا تقع فيه . تلك هي مادة
غذاثنا الذهني . أما إذا اجتهدنا فقرأنا كلاماً جيلاً خارج
المدرسة فإننا لن تلقى من العلم غير التجهم والاستنكار .
وأذكر أن الأدب الإنجليزي أوحى إلى كتابة قصة تمثيلية
صغيرة وأنا في المدرسة الثانوية فرقمها نفوراً إلى مدرس
الأدب العربي فكان جزائي الإهمال المهين . على أن من
الإنصاف أن أذكر أن معلماً شجاعاً تجرأ يوماً فأطلبنا على
آيات عذبة رائحة للعباس بن الأخنف فأشرقت وجوهنا
وانطلقت من قلوبنا آهة المصفور الذي أفلت من قفص
وحلق في فضاء الطبيعة الباسمة الجميلة . فارتعد المدرس المسكين
والثفت إلى باب القاعة خائفاً كأنه اقترف جرماً هائلاً . منذ
ذلك اليوم أدركت أن هنالك كنوزاً في عالم الأدب والشعر
يخفونها عن عيوننا المتطلعة .

توفيق الحكيم

الخصائص بين دينين مختلفين ،
مع أننا نعرف أن هناك خصائص
عديدة في الدين الواحد حين
يختلف أهله بعض الاختلاف ؟
إننا نعرف أن للكاتوليكية
خصائص وللبروتستانتية
خصائص ، لأننا نعرف أن للعقلية
السنية خصائص وللعقلية الشيعية
خصائص

فكيف جاز عندك ياسيدي
الدكتور أن تتوهم أن الإسلام لم يبرز
العقلية المصرية بتغيير ولا تبديل ؟
أنا لا أنكر أن مصر ورثت
ما ورثت من علوم اليونان ،
ولكني أنكر أن تكون مصر
عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف
السنين إلى اليوم . هل تصدق
حقاً يا دكتور أن المصريين أحسروا
العقلية اليونانية بعد الإسلام
إحساساً واضحاً صريحاً ؟

في الحق أن المصريين في
حياتهم الإسلامية شغلوا أنفسهم
بعلوم اليونان أكثر من عشرة
قرون ، ولكنك وقد جلست
على حصر الأزهر كما جلست
تعرف أن المصريين لم يتذوقوا تلك
العلوم ، والأزهر لا يزال باقياً
فتعال مي نسال أهله ماذا فقهوا
من علوم اليونان ؟ تعال مي
يا دكتور لنقضي بين علماء الأزهر
ساعة أو ساعتين فسترأهم جميعاً
يعتقدون بأن العقلية اليونانية

هي التي قضت على اليونان بأن يكونوا باعة الفاصوليا والسردين !
أنا لا أنكر قيمة التراث الذي خلفه اليونان القدماء ،
ولكنني أرتاب في أنه وصل إلى ألفاف العقلية المصرية .

وأنت تعرف من نفسك ما أعرفه من نفسي ، أنت تعرف
أننا لم نفقه الفلسفة اليونانية إلا بعد أن ارتضنا رابضةً عنيفة جداً .
فإن ادعيت أنك فقهت فلسفة اليونان وأنت طالب في الأزهر
فأنا أقول إنني لم أفقه تلك الفلسفة حق الفقه إلا بعد أن تلقيتها
على أساتذة أوريين في الجامعة المصرية . وما أظنك تهمني بقلة الذكاء
والعلوم التي لا تهضم إلا بعد جهد وشقة لا تغير عقليات
الشعوب وإن تغيرت عقليات الأفراد

أنت تعرف فيما تعرف أن الفقه الإسلامي نفسه كان يتغير
بالانتقال من أرض إلى أرض ، فكان للشافعي مذهب في مصر
ومذهب في العراق . ومعنى ذلك أيها الأستاذ الجليل أن العقليات
تتغير من وقت إلى وقت باختلاف ظرف الزمان ، وظرف المكان
والموجة الإسلامية التي طفت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة
ومن دين إلى دين ، والتي قضت بأن تفرد مصر بحراسة العروبة
والإسلام بعد سقوط بغداد ؛ هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يقال
إنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية
ولكن ما هي تلك العقلية الإسلامية؟ هي لون آخر غير العقلية
اليونانية بلا جدال ، وهي لا تُشرح في مقال واحد ، وإنما يشرحها
كتاب ينفق فيه رجل مثلك عدداً من السنين الطوال
وأنا مع هذا لا أنكر أن الإسلام في مصر له خصائص غير
الخصائص التي يجدها الباحث حين يدرس الإسلام في الحجاز
أو في الشام أو في المغرب أو في العراق

وقد تعرضتُ لشرح بعض هذه الخصائص حين تكلمت
عن صور المجتمع الإسلامي في كتب الصوفية ، ولكنها ما تزال
في حاجة إلى درس أوفى من الدرس الذي يقع في فصل من كتاب
أقول هذا وأنا أشعر بأنني لم أزحزحك تماماً عن موقفك ،
ولكنني موقن بأنني عرضت صدرك لشبهات مستوجب عليك الحذر
حين تتكلم في هذا الموضوع مرة ثانية ؛ وأنت تعرف ما أعني

نم ما ذا؟ ثم ما ذا؟ ثم عرضت بالتفصيل لمشكلة اليوم وهي:

النزاع بين الأزهر ودار العلوم
ويجب أن يكون مفهوماً أنك ألّفت كتابك لضيافة بريئة
من الهوى لأنك عميد كلية الآداب ، وعميد كلية الآداب يشرع
للناس مذاهب الحق . وقد تأملت كلامك فوجدته يحتاج إلى تصحيح
ولم لك تعرف أن هوى ليس مع الأزهر ولا مع دار العلوم ،
وإنما هوى مع الجامعة المصرية ، والفرق بيني وبينك أني لا أكرم
هوى كما تكلم هواك . وما أعارضك في هذه القضية إلا لأنك
سلكت فيها مسلكاً يخالف العقلية التي صيغت بها الجامعة
المصرية ، وهي التعمق في درس الأغراض والمآل

أنت وازنت بين الأزهر ودار العلوم والمعاهد المدنية ، وقام
عندك الدليل على أفضلية الأزهر ، لأنه أخرج للناس : محمد عبده
وسعد زغلول ومصطفى عبد الرازق ؛ وأفضلية المعاهد المدنية لأنها
أخرجت للناس : إبراهيم عبد القادر المازني ، وأحمد لطفى السيد ،
ومحمد حسين هيكل ؛ وسقطت عندك دار العلوم لأنها لم تخرج
أمثال هؤلاء .

صدقت يا دكتور بعض الصدق ، فدار العلوم لم يكن لأبنائها
ماض في السيطرة على الحياة الأدبية على نحو ما يسيطر : هيكل ،
والمازني ، والمقاد ، وطه حسين ، والزيات

ولكن كلامك على صدقه أحرزني ، وليتك استشرت عميد
كلية الآداب قبل أن تنشر هذا الكلام المحزن الموجه
أحرزني كلامك لأنه اصطبغ بالغالطة والإسراف
أنت رجل معلم يا دكتور ، ومن الميب عليك أن تؤذي
إخوانك المعلمين : أترأى تؤمن في سريرة نفسك بأنك لم تحكم في
هذه القضية بنير العدل ؟
تعال أنا نقشك الحساب

إن رجال دار العلوم قد اشتغلوا جميعاً بالتعليم ، ومهنة التعليم
تقتل الأدب أبشع القتل . وأين المعلم الذي تسمح له وزارة المعارف
بأن يستوحى الحياة كما يستوحى الأدباء الذين سيطروا على هذا الجيل ؟
أين المعلم الذي تسمح له وزارة المعارف بأن يصف جمال السابحين
والمسابحات في شواطئ الإسكندرية وبورسعيد ، كما صنع الشاعر فلان ؟
أين المعلم الذي يستطيع وصف الصراع بين الهدى والضلال
بدون أن يخاطر بمركزه في الحياة التعليمية كما وقع ذلك للدكتور فلان ؟
أنت تعرف أني جاهدت أعنف الجهاد لأخلق لنفسى شخصيتين :

شخصية الدرس وشخصية الأديب ، ومع ذلك لم أسلم من عدوان السفهاء

ومتى سيطر لطفى السيد على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك يوم كانت حياته خالية من قيود التعليم ، فلما صار مديراً للجامعة المصرية توقفت وترمت حفظاً لحرمة التعليم

ومتى سيطر المازنى على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك بعد أن ترك مهنة التدريس وتفرغ لاستيحاء الحياة ، ولو بقي المازنى معلماً لكان مصيره مثل مصير زميله عبد الرحمن شكرى الذى كان يحس مثل لسع العقرب كلما أشار كاتب فى جريدة إلى أن له أشعاراً فى الغزل والتشبيب

ومتى سيطر مصطفى عبد الرازق على الحياة الأدبية ؟

هل يعرف الجمهور شيئاً من تلك السيطرة ؟ وهل يجروء مصطفى

عبد الرازق على إعلان ما كتب من الوجدانيات ؟

إن مصطفى عبد الرازق كتب أجمل ما كتب بامضاء مستعار لا يعرفه غير الخواص ، وكان ذلك لأن حياته فى التعليم الدينى والبدنى قضت بأن ينسحب جبهة من الحياة الأدبية

الحق يادكتور أن رجال دار العلوم لا يطلب منهم إلا أن يكونوا معلمين صالحين ، وقد كانوا بالفعل

وهنا أوجه إليك كلمة مرة ستؤذك أشد الإيذاء : من الذى

زين لك أن تمتدى على الجنود المجهولين ؟ أنت تعرف أن الفرنسيين

يسمون التعليم Métier sans gloire

وما أشقى من يعانى مهنة بلا مجد !

لك يادكتور زميل فاضل اسمه إبراهيم مصطفى ، وهو كالفراء

سيموت وفى نفسه شئ من حتى

فهو يرضيك أن تتجاهل مثل هذا الرجل لأنه لم يسيطر على

الحياة الأدبية ولم يشترك فى تكوين الجيل الجديد ؟

ومن الذى يسمح اليوم باسم أستاذى وأستاذك سيد بن على

الرصنى وله على وعليك فضل لا ينسأ إلا الجاحدون ؟

أكتب هذا وأنا متألم متوجع لأنى أرى عميد كلية الآداب

يتجاهل تضحيات المدرسين ، ولأنى أشعر بأن هذه الأحكام

الجائرة تستقطب من ميزان الحسنات أعمالى فى التدريس . ولن

يعرف الجمهور غير أعمالى فى التأليف وهى لم تكن إلا ثمرات

ما انتزعت من أوقات الفراغ

وما أخافه على نفسى أخافه عليك يادكتور ، فانت هدف للحملات

المتسفين الذين شرعوا يقولون إن إنتاجك الأدبى قل وضعف ،

وهؤلاء الذين لا يذكرونك إلا يوم تخرج كتاباً جديداً يسون

كل النسيان أن لك شواغل تعليمية تقل نشاطك وتقل إنتاجك

وأن النصف الذى يذكر أننا نحدث تلاميذنا بأشياء لو

دوت نخرج منها محصول أدبى نفيس يغمر المكاتب ويشغل

الأندية والمعاهد ؟ أين النصف الذى يذكر أن من يسيطرون على

الحياة الأدبية مدينون أثقل الدين للمدرسين المجهولين الذين لا يعرف

التاريخ أقدارهم إلا إن صاروا مؤلفين مشهورين ؟

لك يادكتور زميل فاضل يعيش فى زاوية مجهولة من زوايا

الخلول هو الدكتور أحمد ضيف ، وأنا أؤكد لك أن هذا الرجل

يمضى صدور تلاميذه بالفكر والعقل ، وقد نفتت صحبته أجزل

النفع ، ولكنه لا يستطيع أن يزاحمك لأنه لم يخرج من المؤلفات

مثل الذى أخرجت . فن واجبك وأنت عميد كلية الآداب أن تضع

للتقدير الأدبى ميزاناً غير ذلك الميزان ، من واجبك أن تذكر أن

الجمهور الفرنسى لا يعرف شيئاً عن السيوتون إلا السيوتورنيه ،

ولكن أمثال هذين الأستاذين لهم تأثير عظيم فى تكوين الأذواق

الأدبية وإن جهلهم سواد الناس .

وسياتى يوم ينزل فيه الدكتور طه انزلاً تاماً عن الجمهور

ويعتكف فيما يسميه الفرنسيون Cours fermés ليحقق مع

تلاميذه بعض الدقائق الأدبية والفلسفية . ويومئذ يحتاج الدكتور

طه إلى من يعتذر عنه أمام الجمهور فيقول إنه يحيا حياة العلماء

لا حياة الأدباء . وهل يحجل رجل مثلك أن هناك فرقاً عظيماً بين

أستاذ الأدب وبين الأديب ؟

إن أستاذ الأدب تفسده الشهرة لأنها تشغله عن طول الأنس

بالتعرف إلى الألفاظ والمبادئ والأساليب . أما الأديب فيفسده

الخلول لأنه يصدّه عن درس أسرار النفوس وسرائر القلوب ،

ويعوقه عن معاقرة صهبا الوجود

وأنت بحكمك الجائر تنسى أساندة الأدب ولا تذكر غير

الأدباء ، لأنهم على حدّ قولك استطاعوا أن يسيطروا على الجيل

الجديد . . . أترانى أفلحت فى إقناعك بخطأ رأيك ؟

قل الحق مرة واحدة يا سعادة العميد !

أترك هذه الحواطر ، ثم أرجع إلى محاسبتك بصورة غير تلك

الصورة

أنت قلت إن الأزهر يخرج فيه محمد عبده وسعد زغلول
فهل تعتقد حقاً أن من طبيعة الأزهر أن يخرج رجالاً مثل
محمد عبده وسعد زغلول ؟

إن كان ذلك صحيحاً فأين الأزهرى الذى خلف محمد عبده ؟
وأين الأزهرى الذى خلف سعد زغلول ؟

وما أقول به عن الأزهر أقول به عن المعاهد الدينية ، فأبحث
عن النطق الذى يركى حجتك إن استطعت ، وما أحسبك تستطيع
وقد وقفت فى كلامك عند الماضى وبعض الحاضر

فهل يحق لى أن أسألك كيف تجاهلت أقدار من أخرجت
دار العلوم من الرجال الذين سيطروا على الحياة الأدبية ؟

أما يمكن أن يقال إن دار العلوم تخرج فيها عبد العزيز جاويز
وحفنى ناصف ومحمد المهدي ومحمد الخضرى وعبد المطلب وعبد الوهاب
النجار واحمد السكندرى ؟ أتظن أن هؤلاء لم يسيطروا على الحياة
الأدبية حيناً من الزمان ؟

وقلت إن دار العلوم لم تغير نحو البصرة والكوفة ، فهل غيرت
أنت نحو البصرة والكوفة وأنت أستاذ بالجامعة المصرية منذ
عشرين سنة ؟

أنت رجل مقتحم يا دكتور ، وهذا أجمل ما فيك من شمائل
وخصال ، فامض فى اقتحامك إلى غير نهاية ، فصر لا ينجح
فيها غير المقتحمين !

من حقك أن تدوس دار العلوم لأنك مقتحم ، وسيكون
من واجبي أن أفرح بانتصارك ، لأنى متخرج فى الجامعة المصرية
وسأفاسحك الثناء والأسلاب ، فأختر شهادة ظفرت بها من الجامعة
المصرية مذبة بامضاءات أحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل
وطه حسين . ولكن يعزّ علىّ عليك أن تنهزم دار العلوم بعد أن
صنعت فى التاريخ الحديث ما لم يصنع الأزهر ولا الجامعة المصرية ،
مع الاعتراف بفضل هاتين الجامعتين العظيمتين

يعزّ علىّ عليك يا دكتور أن ينهزم معهد كان من رجاله
أساتذتى ولأساتذتك . أنت تعرف يا دكتور أن كلية الآداب
انتفعت بأساتذة دار العلوم

وتعرف يا دكتور أن كلية اللغة العربية انتفعت بأساتذة
دار العلوم . فأرجوك باسم الأدب العالى أن تذكر ذلك المعهد بكلمة
رئاء يوم يموت !

أيها الأستاذ الجليل

فى كتابك كثير من مواطن القوة ، ولكن يموزه النطق
أنت تتحسر أشد التحسر على الفرصة التى ضاعت على دار العلوم
فى الانضمام إلى الأسرة الجامعية

ولكنك نسيت أن سلامة دار العلوم هى فى البعد عن تلك
الأسرة الجامعية . وأنت نفسك تذكر أنك قلت غير مرة إنك
لا تفهم أن يكون فى الجامعة باب يُفلق بعد ابتداء الدرس

فما رأيك إذا حدثتك بأن دار العلوم معهد لا يقل خطراً
عن المدرسة الحربية ، وأن من الواجب أن يراعى فيه نظام المواظبة
بالتوازي لا بالدقائق ؟

ما رأيك إذا حدثتك بأن طلبة دار العلوم يجب أن يراضوا
على الأنظمة العسكرية فلا يعرفوا من الحرية الشخصية ما يعرف
أشغالهم فى كلية الآداب ؟ يجب أن يكون مفهوماً بينى وبينك أننا
لا نفكر فى منافقنا الذاتية ، فأنا أدفع ما يتهمك به خصومك
من حب السيطرة على أكبر عدد ممكن من المعاهد

ولذا يكون من المنفعة الوطنية أن نفكر جميعاً فى إعداد
معلم اللغة العربية إعداداً فنياً ، لا جامعيًا ، فإن لم تكف بذلك
فلا بأس من أن تقترح أن يظفر مدرس اللغة العربية بدرجة
جامعية بعد التخرج فى دار العلوم على الأساليب التعليمية

وتجاربى فى التفتيش أقتضى بصحة ما أقول ، فقد لاحظت
أن المدرسين التخرجين فى كلية الآداب يتفوقون فى أشياء
ويقصرون فى أشياء ، كما لاحظت أن التخرجين فى دار العلوم
يتفوقون فى أشياء ويقصرون فى أشياء ، ولذلك تفصيل يضيق عنه
هذا الحديث ، فإن أمكن أن يجمع مدرس اللغة العربية بين الزيتين
كان لذلك أثر بالغ فى تكوين الجيل الجديد

وهذا الذى أقول به لا يوجب إلغاء دار العلوم ولا تغيير نظام
كلية الآداب ، وإنما يوجب أن يتعرف هذان الجيلان بعضهم
إلى بعض بلا بنى ولا عدوان

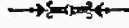
ويظهر من كلامك أنك راض كل الرضا عن الجامعة المصرية ،
ولكنك نسيت أن هذه الجامعة لم تصنع شيئاً فى إصلاح ما سيطرت
عليه من المعاهد العالية

هل تعرف يا سعادة العميد أن لغة التدريس فى كلية الطب
هى اللغة الانجليزية ؟

وهل تعرف أن لغة التدريس فى كلية العلوم هى اللغة الانجليزية ؟

دعه كله يذهب

لشاعرة بهو هويلر ولكس



دع الحلم يذهب . اطمئن ولا تترايل أعضائك من الفرق .
أفليس في طبقات السُحُب المتلبدة من الأحلام الأخرى المستورة
عن نظريك ما تستطيع أن تكسوه بمد ، بشعاعات نورانية ،
وتذهب أطرافه بومضات وهاجة تخرق بلألأها حجب الغمام
الكثيف وتطرد جهامه القاتم ، وتمحو ركامه الداكن ؟
فا قيمة حلم يفوتك ، من أضفائ الليل الضائعة ؟

ألا دع ذلك الحلم الزائل يذهب
دع الأمل يغرب . تشجع . لا تجبن ولا تتفاس . أفلا يدخر
لك الغيب في أطوائه آمالاً أخرى لا تلبث أن تطفو في بحر الدجى
كالكواكب الزاهية ، وتذكي مصابيحها في آفاق سمائك !
إن النفس المستبشرة المؤملة لن تميث طويلاً في بيداء
الدياجير المهدة العاشة ، بل لا بد أن تضئ عليها العلياء نوراً
جديداً . فا أشدها جهالة أن تحسب أن ساداتك قد توت ،
لأنك عدت قانطاً من رجاء واحد ؟

ألا دع ذلك الأمل الضائع يغرب
دع الفرح يذبل ويذوى : لا تحزن ولا ترتبض . أفلم تنق
أفراح أخرى تشبه البصيلات التي يمتقلها الصقيع حيناً ، ثم يأمر
ربك أن تنطلق من إسارها ، وتخرج شطأها وتنور ؟
أوليس من شأن الشتاء العاصف الصارم أن يرسو على الجذور
القوية بكلاكله القاسية ، فيتلفها ويواربها في غيابات أرماسه
الصامتة ، وأجدانه المظلمة الخفية ؟
وهل نعتى الأرض تلك الفترة الوجيزة التي تتجرد فيها من
وشبها ومطارفها !

ألا دع ذلك الفرح المدبر يذوى ويذبل
دع الحب يقضى أجله ويمضى لسبيله . كن قوى الإيمان
ولا تيأس ، بل سر عنك . أفلا توجد عجات أخرى بمد تحاكمه
في جماله ، وفيما ترخر به من صنوف العذاب العذب ؟
ألا توجد عجات أخرى ترفرف في الفضاء كالحمام البيضاء ،
ولا تلبث أن تحوم حولك ، وتجمس في صدرك وتمش !
فتقول في كل منها : « إن هذه خير من تلك »
ألا دع ذلك الحب الراحل يمضى لسبيله (الزهرة)

لقد نشرت أكثر من سبعين مقالة في دعوتكم إلى جعل
اللغة العربية لغة التدريس في جميع الماهد العالية فلم تقابلوني بغير
الصمت البليغ . وكانت النتيجة أن تسبقكم الجامعة الأمريكية
في بيروت إلى تحقيق هذا الغرض النبيل

وتكلمت بإسعادة العميد عن وجوب الإكثار من الترجمة ،
وكان الظن أن تذكر أنى استطعت مرة أن أقنع وزارة المعارف
بوضع نظام لخريجي البعثات بوجوب ألا يظفر التخرج في البعثات
بأية ترقية إلا بعد أن يترجم كتابين من غمر المؤلفات الأجنبية
في العلم الذي تخصص فيه . وقد أقرت وزارة المعارف ذلك النظام
وأعلنته إلى مبعوثيها في الماهد الأوربية والأمريكية ، ويقول
الرجفون إنك ساعدت على تقويض ذلك النظام بمعونة رجل من
أصدقائك تولى وزارة المعارف ، وكان ذلك فيما يقال لأنه نظام
اقترحه رجل اسمه زكي مبارك وأقره وزير اسمه حلمي عيسى باشا
فهل يكون معنى ذلك أن الخير لا يكون خيراً إلا حين
تقترحه أنت ويقره وزير من أصدقائك ؟

ونسيت بإسعادة العميد أن كلية الآداب تقول أكثر مما تفعل ،
فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثني أين مجلة كلية الآداب التي لم نرمها
غير ومضات ؟

ونسيت أيضاً أنك تقول أكثر مما تفعل ، فأنت تدعو الدولة
إلى إعفاء الأدباء من أعمالهم الرسمية ليتفرغوا للبحث والدرس ،
ثم تنظر فرائك تساعد الدولة والهدر على ظلم الأدباء
فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثني كيف اتفق ألا تحدث
في الإذاعة اللاسلكية ولا تكتب في الجرائد إلا عن مؤلفات
من تصطفهم من الباحثين ، مع أنك مسئول بحكم منصبك العالي
عن الخلوص من شوائب الأهواء ؟

كان الظن أن تذكر أن من واجب الجامعة المصرية أن تحاسب
نفسها قبل أن تحاسب الناس ، ولكنك على كل حال مقفور
الذنوب لأنك تتكلم في أوقات يراها غيرك أوقات صمت وجود
أما بعد فإني أعتقد أني نوهت بكتابك وبأعمالك أعظم تنويه ،
فإن رأيت في كلامي بعض ما لا يروقك فاعذرنى ، فقد أخذ علينا
المهد ألا نقول غير الحق . وهل علمتنا الجامعة المصرية أن نصانع
من يظنون أنهم يملكون من السيطرة الأدبية أكثر مما نملك ؟
سترى كيف نروضك على الاقتناع بأن القول المسئول لا يبنى
عن الصنيع الجميل « مصر الجديدة » زكي مبارك